٩

مع..وضد هيكل.. !!

بعد أن استعرضنا بموضوعية حرصنا عليها بشدة خلال الصفحات الماضية كل الاتهامات التى يُتهمُ بها (هيكل) .. نحاول من خلال هذا الفصل تمحيص تلك الاتهامات.. وفرزها لنتبين الغث من السمين فيها.. والحقيقة من الإدعاء..

ونبدأ بتساؤل منطقي وهو : هل ملايين القراء العرب.. وغير العرب الذين يحرصون على متابعة كل ما يكتب.. ويقول الرجل أولاً بأول "مغفلون" لأنهم لم يكتشفوا زيف أسطورته كما يدعى عليه ناقضوه؟

ألا تعكس هذه الشعبية الساحقة حقيقة لاجدال فيها مفادها أن ما يكتبه الرجل فيه من الصدق والوفاء ما يجعلنا نحترم فيه ذلك.. خاصةً أنه ينتمى لزمن.. وعصر انقلب عليه من أتباعه الكثيرون ؟

ليس مؤرخاً..

أما اتهامهم إياه وتساؤلهم: لماذا لا يستعين بأصول التأريخ والتوثيق؟

ولماذا لا يستخدم الهوامش؟

ولماذا لا يستخدم المناهج الأكاديمية؟

لماذا لا يعود إلى المؤرخين الكبار المعاصرين؟

لماذا لا يستخدم النماذج النظرية؟..

وفي النهاية نتساءل نحن: لماذا لا يطالبونه بتدريس التاريخ في المدارس والجامعات بالمرة؟ هذه ليست مهمته.. لقد قام بواجبه في حدود عمله ونجح تماماً في ذلك.. لكن في حدود كونه صحفياً لا يجب أن نطلب منه أن يحقق لنا شروط المؤرخ الأكاديمية الدقيقة؟

لماذا نظلم الرجل ونحاول أن نطبق عليه ما لا يُطبق على من كان مثله؟

فهو أولاً.. وأخيراً صحفي.. شاهد.. وعاش.. وتعايش وسط أحداثٍ دونها بطريقته.. وعندما كتبها ونشرها جذبت انتباه الكثيرين.

و(هيكل) يؤكد: نعم لست مؤرخاً!!

أما (هيكل) نفسه فينفي تماماً عن نفسه قطعياً وصف المؤرخ.. فقد كان من الذكاء في هذه المسألة.. وفطن لها مبكراً.. وقال فيقول في كتابه (**سنوات الغليان**):

"أنا لست بمؤرخ وإنما مجرد صحفي.. شاهد في التاريخ... فأبعد الأشياء عن مقاصدي أن أجعل من كُتبى محاولةً لـ"كتابة التاريخ" والحقيقة أنه محاولة لـ"قراءته".. وهذا معنى كررته كثيراً في وصف ما أكتبه وما زلت متمسكاً به.. وليس من باب التواضع أن أقول أن "كتابة التاريخ" ليست صناعتي ولا أنا مدعيها.. وليس من باب التفاخر أن أقول أن "قراءة التاريخ" حقي لأنها حق كل مهتم بالشؤون العامة.

ولعلي لا أتزيد إذا قلت أن "قراءة التاريخ" كانت أصعب بالنسبة لي لأني عشت وقائعه.. وكان علي لكي أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيراً مما كنت أظن أنني أعلمه.. وأن أطرح لمراجعة كثيراً مما كنت أتوهم أنني أفهمه"

ويقول عن نفس الكتاب:

"لأننا يجب أن نتذكر أن هذا الكتاب ليس رسالة دكتوراه حتى أناقش فيه القضايا من خلال جزئية هنا وأخرى هناك.. وإنما أنا أكتب كتاباً هو عبارة عن قراءة صحفية

للتاريخ من المفروض أن تصل إلى أكبر عدد من القراء.. واعتقد أن الكتاب حاول تحقيق هذا الهدف..

كما يقول (هيكل) عن نفسه ومهاجميه:

كثيرون هم الذين كتبوا عني.. ولم أعد أتفاعل معهم كثيراً.. حتى لا أموت غيظاً حينما يهاجمني بعضهم.. ولا أموت غروراً حينما يمدحني بعضهم الآخر.

والآن قبل أن ننهى رحلتنا في القسم الأول مع (هيكل) نقوم بزيارة خاصة إلى عالمه الخاص.. لنتعرف أكثر وأكثر على الجو الذي يعيش داخله الأستاذ عندما يكتب.. فإذا أردنا ذلك كل ما علينا فعله هو الذهاب إلى تلك البناية الضخمة المتواجدة في شارع النيل بالجيزة.. والمحاذية تماماً لفندق الشيراتون.. ثم نأخذ المصعد لنتوقف عند الطابق الرابع.. وتحديداً عند الشقة رقم (٤٣) لنضغط جرس الباب.. في الغالب سوف يستقبلنا شخص يدعى الأستاذ "منير عساف" هو مدير مكتب كاتبنا الكبير (محمد حسنين هيكل).. وتسبقنا نظراتنا ونحن نقلب النظر في المكان.. سنجد أن المكتب يحتل بجوار موقعه المتميز خارجياً.. مساحة كبيرة داخلياً.. تأثيث المكتب من النوع التقليدي.. الكراسي.. المكتبة.. تتوسط الشقة صالة كبيرة.. تتفرع عنها مجموعة الغرف الداخلية.. وعلى جدران الصالة.. وكذلك في معظم الغرف أهم ما يلفت نظرك هو تلك المجموعة الكبيرة من الصور التي تمثل مختلف المراحل العمرية والعملية للأستاذ.. في الحرب الكورية وفي سيبيريا وفي مدن شهيرة أخرى من العالم.

يعمر المكتب بالعديد من الموظفين.. وفي إحدى الغرف تشاهد مجموعة من أجهزة الفاكس.. تعمل كلها تقريباً... إضافة إلى أجهزة الكمبيوتر الكثيرة.

وإذا أسعدك الحظ ورأيت الأستاذ.. على موعد.. أو صدفة أثناء دخوله.. أو خروجه.. أو تنقله بين الغرف فستجده كالمعتاد في بدلته الأنيقة.. والسيجار الفاخر بين أصابعه.. وإذا لمحك.. أو تقابلت عيناه بعينيك سيصافحك بحرارة وهو يبتسم.. ويسألك عن أحوالك.. حتى وإن كان لايعرف من أنت..

❖❖❖